سلسلة الثقافة الإسلامية
(١١٢)

بيت التوحيد وبيت الولاء

تحليل وتفسير لزيارة
الحسين عليه السلام بكربلاء

محمد مهدي الآصفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب: ..... بيت التوحيد وبيت الولاء
المؤلف: ..... محمّد مهدي الآصفي
الطبعة الأولى: ..... ١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢م
الكمية ..... ٥٠٠٠ نسخة
المطبعة:..... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾

النور/٣٦-٣٧

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾

البقرة/١٢٥

التحصينات الحضارية والثقافية:

لقد أصبح الانتقال من بلد الى بلد ومن قارة الى آخرى والاتصال بين أطراف الأرض أمراً يسيراً بفضل التطور الذي حدث في أجهزة المواصلات والاتصالات...

وأصبح بإمكان المرء أن ينتقل بحركة خفيفة على مفاتيح جهاز التلفزيون أن ينتقل من أقصى الشرق الى أقصى الغرب، باتجاه مخالف يساوي ١٨٠درجة على الكرة الأرضية ومن أجوائنا وأوساطنا الى أجواء وثقافات وحضارات مختلفة تماماً عن أجوائنا وحضارتنا .

ننتقل عبر القنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية (الانترنيت) الى مشاهد العصابات من الشباب الضائع التائه المتمرد الفاسد في العالم، وبشكل خاص في الغرب.

أمواج من الفساد والضلال والظلمات يضرب بعضها بعضا.

ثم نرجع الى ساحاتنا الاسلامية وأوساطنا وأجوائنا الثقافية ومساجدنا وجوامعنا وجامعاتنا وبيوتنا وأسرنا وشوارعنا ومناسباتنا الاسلامية في شهر رمضان وعيد الفطر وعيد

الأضحى ويوم عاشوراء والاربعين والنصف من شعبان فنجد عالماً للشباب يختلف كثيراً عما وجدناه على شاشات التلفاز وشبكات الانترنيت.

وإذا تجاوزنا الفئات الضائعة التائهة عندنا من الشباب تبعاً للغرب.

نجدها هنا ثقافة التوحيد، والولاء، والتقوى، والطاعة، والصلاة، والحج، والصيام، وثقافة الدعاء، والمناجاة، والزيارات، والتزاور، والتواصل، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وثقافة القيم، والأخلاق، والعلاقات الاجتماعية القائمة على التفاهم والتعاون على العمل الصالح، والمحبة... عالماً مختلفاً تماماً عما في الغرب.

فنحمد الله تعالى الذي عصم أبنائنا وبناتنا في وسط هذه الحضارات المتلوثة من الفساد والضياع والتمرد والتيه بفضل (التوحيد) و(الولاء).

حصن (التوحيد) و(الولاء):

إن (التوحيد) و(الولاء) خصلتان منيعتان، لا تنفذ اليهما عوامل العدوى الحضارية المعاصرة، رغم شيوعها ورغم القدرات التقنية الكبيرة والمتطورة المستخدمة لإشاعة هذه

الثقافة المتحللة.

وقد روى الإمام ابو الحسن الرضا عليه السلام عن أبيه عن أبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عليه السلام عن الله تعالى:

«لا الله الا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي»(١).

وليس في الحصون الثقافية حصن يمتلك من مقومات التحصين والمناعة مثل حصن (التوحيد) و(الولاء).

لقد حفظ الله أبنائنا وبناتنا بالتوحيد والولاء وسط هذه الثقافات والمراكز العالمية المتلوثة بالفساد.

وكما يحفظ الناس الماء الساخن الذي يغلي الى جانب ماء بارد مثلج في وعاء واحد بجدار عازل خفيف كذلك يحفظ الله تعالى أبناءنا وبناتنا وثقافتنا وقيمنا، في وعاء مكاني- زماني واحد مختلط او متقارب من عدوى التلوث

(١) الامالي للشيخ الطوسي: ٣١٦/١. وبشارة المصطفى وأعلام الدين في صفات المؤمنين ومسند الإمام الرضا عليه السلام: ٥٨/١ و٢٣٥ و١٨/٤ وبحار الأنوار: ١٣/١٧ و٦/٣ و٧ و١٣ و١٢٣/٤٩ و١٢٧/٤٩ و١٩٢/٩٠ و١٩٤ و٣٦/١٠٨.

والفساد والثقافات الفاسدة والحضارات المادية البهيمية التي تحكمها الاهواء والشهوات والجنس والعنف والنضوب الروحي والبطر والرثاء.

عوامل التحصين:

وتتساءل كيف يحفظ (التوحيد) و(الولاء) أبناءنا وبناتنا وثقافتهم وصلاتهم ودعاءهم وقيمهم واخلاقهم في هذا الوسط الثقافي الفاسد المتلوث، وقد تعيش هاتان الثقافتان المتعاكستان في مدينة واحدة، بل في دار واحدة واسرة واحدة في بعض الأسر.

والجواب: إنّ الله تعالى قد جعل للناس مقابل عوامل العدوى الثقافية عوامل للتحصين والمناعة.

منها التوحيد وقد قرأنا قبل قليل حديث الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عليه السلام عن الله (لا اله الا الله حصني)

ومنها الصلاة يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ**﴾العنكبوت/٤٥.

ومنها الصوم، وهو «جُنّة من النار» كما في الحديث

والجُنّة بمثابة الدرع الذي يحفظ صاحبه من التلوث بالذنوب والمعاصي.

ومنها التقوى. يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾الأعراف/٢٠١.

ومنها ذكر الله عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام (الا أحدثكم بأشدّ ما افترض الله على خلقه؟... ذكر الله في كل موطن، إذا هجم على طاعة أو معصية)(١).

وفي رواية اخرى (ذكر الله كل حال، ليس سبحان الله والحمد فقط، ولكن إذا ورد عليك شيء أمر الله به أخذت به، وإذا ورد عليك شيء نهى الله عنه تركته)(٢).

ومنه القرآن وأنه العاصم من كل سوء وضلال

﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾الاسراء/٩.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع

---

(١) مستدرك الوسائل: ٢٩١/٥.

(٢) جامع احاديث الشيعة: ٣١٥/١٣.

وماحل مصدق. من جعله أمامه قاده الى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه الى النار. وهو الدليل يدل على خير سبيل. فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة»(١).

ومنها الجماعة المؤمنة فإنها عاصمة من فتن الضلال. وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: يد الله على الجماعة، والشيطان مع من خالف الجماعة يركض.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يد الله على الجماعة، فإذا اشتذ الشاذ منهم إختطفه الشيطان، كما يختطف الذئب الشاة الشاذة من الغنم»(٢).

---

(١) الكافي: ٥٩٩/٢ كتاب فضل القرآن.

(٢) ميزان الحكمة: ٤٦/٢ (الجماعة)

بيت التوحيد والولاء:

ومن أهم عوامل التحصين (بيت التوحيد) و(بيت الولاء)(١).

وهذان البيتان يتكاملان في تحصين هذه الأمة من التحديات الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والاعلامية التي تواجهها هذه الأمة.

---

(١) يقول علماء اللغة: والى (ولاءً) فلانا ناصره واتبعه واطاعه.
ووَلِيَ وِلاية وَوَلاية الشيء، وعليه: قام به وملك امره، وتسلّط عليه والولاية الامارة والسلطان
وبذلك، فإنّ كلمات اللغويين.
تدل على ان (الولاء) بمعنى الطاعة والاتباع والنصره.
والولاية بمعنى الحاكمية والسيادة والسلطان والإمارة. وتختلف الكلمتان في كيفية التعدي. فالولاء يتعدى باللام، يقال ولاؤه لفلان.
والولاية تتعدى بـ(على) يقال: له الولاية على إبنه او خادمه مثلا.
وعليه فإن (الولاية) لله ولرسوله وأولى الأمر الذين جعل الله لهم الولاية (على) المسلمين، و(ولاء) المسلمين لله ولرسوله ولأولى الأمر، وهما وجها لعمله واحدة.
ونحن نستعمل في هذه المقالة (الولاء) و(الولاية) بهذا المعنى.

والبيت هو المكان الامين الذي يجمع أعضاء الأسرة الواحدة (وهذا هو معنى المثابة) ويحفظها من العدوان، (وهذا هو معنى الأمن).

وقد جعل الله تعالى بيته الحرام مثابة للناس وأمنا ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴾البقرة/١٢٥.

تكامل بيت التوحيد وبيت الولاء:

والبيت الحرام هو بيت التوحيد، يسعى اليه ويجتمع فيه كل الموحدين، ويجدون فيه مثابة وأمناً، كما يقول الله تعالى.

ولكن لابد للناس الى جانب بيت التوحيد من بيت للولاء يأتي في إمتداد (بيت التوحيد) ويكملّ مهمة بيت التوحيد في حياة الناس.

وكما إن الولاية تأتي في إمتداد التوحيد، وتكمل مهمة التوحيد كذلك بيت الولاء يأتي في إمتداد بيت التوحيد، ويكمل رسالته.

ومن دون هذا التكامل بين بيت التوحيد وبيت الولاء لا يؤدي التوحيد رسالته كاملة في حياة الناس.

ولابد لهذا الاجمال من تفصيل فاستمع الى التفصيل:

ومن قبل أن أدخل في الحديث عن بيت التوحيد والـولاء أقف وقفة قصيرة عند كل من التوحيد والولاء.

التوحيد وعناصر التوحيد:

التوحيد هو توحيد الله تعالى في الخلق، والرزق، والملك، والربوبيـة، والالوهيـة، والعبوديـة، والـدين، والتشـريع، والحاكمية، والولاية، في حياة الانسان.

يقول تعالى في توحيد الخلق والرزق: ﴿**يَا أَيُّهَـا النَّـاسُ اذْكُرُوا نعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾فاطر/٣.

وفي توحيد الملك يقول تعالى:

﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ**﴾فاطر/١٣.

وفي توحيد الربوبية يقول تعالى:

﴿**فَلِلَّـهِ الْحَمْـدُ رَبِّ السَّـمَاوَاتِ وَرَبِّ الْـأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾الجاثية/٣٦.

وفي توحيد الالوهية يقول تعالى:

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾القصص/٨٨.

﴿وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾النحل/٥١.

وفي توحيد العبودية يقول تعالى:

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾مريم/٦٥.

وفي توحيد الدين والتشريع يقول تعالى:

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾المائدة/٤٧.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾المائدة/٥٠.

وفي توحيد الحاكمية والسيادة والولاية يقول تعالى:

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾الأنعام/٥٧.

﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾القصص/٧٠.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾المائدة/٥٥.

الولاية:

والولاية هي الحاكمية والسيادة. وهذه السيادة والحاكمية هي التي تذكرها آية الاحزاب/٦: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ فلا معنى لأولوية النبيﷺ على الناس من أنفسهم غير الحاكمية والسيادة، والولاية في الأصل لله تعالى، لا يشاركه فيها أحد، وهو الذي يستحق الولاية المطلقة على عباده، ثم لرسول اللهﷺ بأمر من الله على المسلمين.

يقول تعالى: ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾آل عمران/١٣٢.

ويقول تعالى: ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ**﴾المائدة/٩٢.

ثم الولاية من بعد رسول اللهﷺ لاولى الأمر على المسلمين بأمر من الله من بعد رسول اللهﷺ يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾المائدة/٥٩.

والولاية المشروعة في حياة الناس، بعضهم على بعض، هي الولاية التي جعلها الله تعالى لأوليائه على سائر عباده، وتقع في امتداد ولاية الله. وأما الولاية التي يجعلها الناس

بعضهم على بعض في عرض ولاية الله فهي ولاية باطلة وغير شرعية، ولا تحمل الزاماً لأحد على أحد، وليس لها قيمة قرار.

إذن الولاية من مقولة التوحيد، وهي لله تعالى حصراً، على عباده، ثم لمن يأذن الله تعالى ويأمر بولايته.

وهو قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾المائدة/٥٥.

والولاية في آية المائدة/٥٥، لله تعالى على عباده أولاً وبالأساس، ثم إذن الله تعالى بها لرسوله صلى الله عليه وآله ومن بعده للذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون على عامة المسلمين.

وإذا علمنا أنَّ آية المائدة/٥٥، نزلت في الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام لمّا تصدق بخاتمه، وهو راكع في صلاته، كما يروي ذلك ثقاة المحدثين من الفريقين، الشيعة والسنة، عرفنا أن الإمام علياً عليه السلام هو ولي المؤمنين عموماً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله نصوص كثيرة

صريحه في ولاية الإمام علي عليه السلام على المسلمين(١) من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولسنا فعلا بصدد الدخول في هذا البحث... وإنما الذي أريد أنَّ أثبّته هنا: أنَّ ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته من بعده على المسلمين، تأتي في إمتداد التوحيد، وتتقوم به، وهي من مقولة التوحيد.

ولا شرعية لولاية لأحد أو لشيء على أحد من دون أن يأذن به الله تعالى ويأمر به.

وهذا أصل هام في الاسلام.

---

(١)من ذلك ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله في علي أمير المؤمنين بأسانيد معتبره قوية (إنَّ علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي) السنن الكبرى للنسائي: ٤٠١/٤٠ و٤٥/٥ و١٢٦/٥ و١٣٣/٥ (حسب البرنامج). والاحاد والمثاني لابن ابي عاصم: ٣٣٧/٦ (برنامج المكتبة الشاملة) والمستدرك على الصحيحين: ٤٥٧/١٠ (برنامج المكتبة الشاملة) ومسند احمد: ٤٠١/٤٠ (البرنامج) ومواضع عديدة منه وصحيح ابن حيان: ٤٠٠/٢٨ (برنامج المكتبة الشاملة) ومسند الطيالسي: ٤١٠/٢ (المكتبة الشاملة) ومسند الترمذي: ٣١٧/١٣ و٦٣٢/٥ (برنامج المكتبة الشاملة) ومصنف ابن ابي شيبه: ٣٢٢/٨ (المكتبة الشاملة) وعشرات المصادر الآخرى.

عناصر الولاء:

ويتألفّ الولاء من مجموعة عناصر، وأهم هذه العناصر ثلاثة

الطاعة، والنصرة، والحب.

يقول تعالى: ﴿**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾النساء/٥٩.

﴿**وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**﴾الانفال/٧٢.

﴿**وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً**﴾الانفال/٧٤.

﴿**ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ**﴾آل عمران/٨١.

﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾التوبة/٢٤.

﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي**

﴿الْقُرْبَى﴾الشورى/٢٣.

والقربى هم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

قيمة الولاء:

عن الإمام الباقر عليه السلام: بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية(١).

(١) بحار الأنوار: ٣٢٩/٦٥ و١٠٥/١. وأصول الكافي: ٢٨/٢.

علاقة الولاء بالتوحيد

ما دمنا نتحدث عن بيت التوحيد وبيت الولاء... علينا أن نتوقف قليلا عند علاقة الولاية بالتوحيد، فهي علاقة وشيجة قريبة، فإن للولاية دور كبير وفاعل في بسط سلطان التوحيد على وجه الارض وتفعيل التوحيد في حياة الناس، وإخراجه من الحالة النظرية الى حالة ميدانية حركية في ساحات الحياة كلها. ولولا الولاية يبقى التوحيد نظرية في المعرفة معزولة عن حياة الناس، وهذا هو الدور الاول في علاقة الولاية بالتوحيد.

والدور الثاني في علاقة الولاية بالتوحيد في صيانة التوحيد وتحصينه من التشعبات الانحرافية التي تُحَرِّفُ التوحيد عن الصراط المستقيم الذي رسمه الله تعالى لعباده... ولولا الولاية لم يسلم التوحيد في عصور التاريخ الاسلامي من الانحرافات التي يقودها أئمة الضلال في مضلات الفتن التي دخلت على حياة المسلمين الثقافية.

ولا بد من وقفه تأمل ودراسة لتسليط الضوء على هذا الدور المزدوج في علاقة الولاية بالتوحيد.

١- دور الولاية في بسط سلطان التوحيد على وجه الارض:

علاقة الولاية بالتوحيد

تأتي الولاية في إمتداد التوحيد، وتكتسب قيمتها وشرعيتها من التوحيد، فلا ولاية لأحد على أحد الا بأذن الله وأمره. والولاية المشروعة هي التي تأتي بأذن الله، والتي لم يأذن الله تعالى بها تُعَدّ من الولايات غير المشروعة.

وهذه النقطة هي النقطة الفارقة بين الولايات المشروعة وغير المشروعة.

ولا بد من بسط وتوضيح اكثر لهذه المقولة ضمن النقاط التالية:

١- الولاية بمعنى السيادة والحاكمية والسلطة والقيمومة على الأخرين في الاتجاه النازل، وفي الاتجاه الصاعد للخط نفسه تأتي الطاعة والتسليم، وهو (الولاء).

٢- والولاية في الأصل لله تعالى، فلا ولاية لأحد على أحد، إلا بأمر الله وإذنه، ولولا ذلك لا يكون سلطان لأحد على أحد ولا تجب الطاعة والولاء لأحد مهما كان.

٣- والولاية المشروعة في حياة الناس، وبين الناس ما كان بأمر من الله وإذن منه تعالى، ومن دون ذلك لا سلطان لأحد على أحد ولا طاعة لأحد على أحد.

٤- وتجتمع الولاية بالنبوة فقد كان ابراهيم عليه السلام نبياً عندما حباه الله بالإمامة وذلك قوله تعالى ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**﴾البقرة/١٢٤.

والإمامة هي الولاية ولا معنى للإمامة في الناس غير الولاية.

وقد كان ابراهيم عليه السلام نبياً قبل ان يحبوه الله بالإمامة فلما أتمّ الكلمات التي إبتلاه الله بها حباه الله بالإمامة ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**﴾

فهي من حيث المرتبة فوق النبوة... فقد حباه الله تعالى بها، بعد إن آتاه النبوة، وبعد أن أتمّ الكلمات.

وحبا الله تعالى رسوله خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله بالولاية، فقال تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾.

٥- ورسالة الولاية والإمامة بسط التوحيد على وجه الارض، فإن التوحيد هو توحيد الالوهية، والربوبية،

والحاكمية، والولاية، والسيادة، والدين، والأمر والحكم لله تعالى في الارض، وإزالة كل سلطان، ودين، وسيادة للناس، بعضهم على بعض، دون سلطان الله وولايته ودينه، إلا أن يكون بأمر من الله وإذنه (حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله)

ويقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾النحل/٣٦.

إن التوحيد كلّه يتلخص بهاتين الكلمتين: عبادة الله وطاعته وحده، ورفض الطاغوت ونظامه وحكمه وسيادته (اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)...ولا تتحقق هذه وتلك الا بوجود سلطان وسيادة على وجه الارض. تُنَفّذُ في حياة الناس هذه وتلك، وتدعوهم اليهما وتقاتل الطاغوت، (حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)... وهذا السلطان الذي ينفذ أمر الله تعالى وحدوده في حياة الناس هو (الولاية).

إن الاديان والرسالات الالهية تتلخص في طاعتين طاعة الله وطاعة رسوله واوليائه، والطاعة الأولى في احكام الله وشريعته ودينه والطاعة الثانية هي طاعة الولاية.

يقول تعالى: ﴿**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾النساء/٥٩.

ولا يمكن أن يتم إقرار التوحيد والدين على وجه الارض وفي حياة الناس من دون الطاعة الثانية، وهي الولاية.

وقد تكرر في سورة الشعراء هذه الطاعة في آيات عديدة على لسان الانبياء عليهم السلام: (فاتقوا الله واطيعون) ويقصدون بذلك: وأطيعوني. وهذه الطاعة غير تقوى الله وطاعته وهو الذي نقصده ونريده من (الولاية).

فهي تمثل الحاكمية الالهية على وجه الارض. تدعو الناس الى طاعة الله ورسوله، والتمسك بدينه، ومكافحة الطاغوت، وإزالة كل سلطان للطاغوت في حياة الناس وتطبيق حدود الله وأحكامه في حياة الناس، وبسط سلطان هذا الدين على وجه الارض.

فهي الاداة المختارة لتمكين دين الله في الارض، وبسط السلطان والسيادة الالهية- (التشريعية) وحاكمية دينه وشريعته في حياة الناس، والغاء كل طاعة وسيادة ودين عدا ذلك (حتى لا تكون فتنه ويكون الدين كله لله) ﴿**يَقُولُونَ**

﴿هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾آل عمران/١٥٤.

ومن دون حضور الولاية الالهية على وجه الارض، وفي وسط المجتمع لا يتم شيء من ذلك.

فـ(الولاية) إذن تفعلّ (التوحيد) في المجتمع، ولولا الولاية يبقى التوحيد نظرية في حياة الناس معزولة عن ساحات الحياة، وهي المسؤولة عن تحويل التوحيد الى واقع اجتماعي وسياسي وثقافي في حياة الناس.

وبهذه الصورة ينبغي أن نفهم علاقة (الولاية) بـ(التوحيد) و(التوحيد) بـ(الولاية).

إن الولاية تأتي في امتداد التوحيد، وتكتسب شرعيتها من التوحيد، وفي المقابل التوحيد يكتسب فاعليته وسلطانه وقوته في حياة الناس بالولاية، فهما متكاملان، ولهذا الكلام بسط وشرح لا يسعه المقام... ولمن يريد أن يتابع بنفسه هذا الموضوع الخطير الحساس في ثقافة الاسلام، يكفي هذا المقدار من البسط والشرح.

٢- دور الولاية في صيانة التوحيد وتحصينه من المسارات المنحرفة:

تعرض التوحيد وإمتداداته العقائدية والتشريعية[١] لانحرافات كثيرة.

وكان لابد من وجود معالم يهتدي به المسلمون الى المسار الصحيح للتوحيد وإمتداداته العقائدية والتشريعية. وقد جعل الله تعالى ولاية أهل البيت عليهم السلام المعلم الذي يهتدي به المسلمون الى المسار الصحيح للتوحيد، والحصن الذي يحصّن التوحيد وامتداداته من الانحرافات، والسفينة التي يسلم بها من ركبها من أمواج مضلات الفتن.

ولابد أن نشير -على نحو الاجمال- الى هذه النقاط، وهي ثلاثة:

---

(١) التوحيد أصل، بل هو أصل لكل الاصول في الاسلام ولهذا الاصل إمتدادات عقائدية، وامتدادات تشريعية.
والانحرافات قد مسّت التوحيد، وهو الأصل والأساس كما مسّت إمتداداته العقائدية والتشريعية

١- إختلاف الناس في أمر الدين الى مذاهب ومسالك كثيرة.

٢- ويحمل هذا الاختلاف معنى الانحراف عن التوحيد والدين الحق بالضرورة... وليس يسلم من هذا الانحراف الا فرقة واحدة، هي الناجية الراشدة في موجات الفتن التي تضرب الناس.

٣- البحث عن المعالم التي جعلها الله تعالى لعباده في وسط هذه الفتن ليهتدوا بها الى الحق الصحيح في التوحيد وإمتداداته في العقيدة والشريعة.

❊ ❊ ❊

واليك هذه النقاط الثلاثة على نحو الاجمال الشديد.

إما النقطة الاولى والثانية، فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله بطرق عديدة تبلغ حدّ الاستفاضة أنه صلى الله عليه وآله قال «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على إثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي ثلاث وسبعين فرقة واحدة في

الجنة، وثنتان وسبعون في النار، قيل يا رسول الله من هم، قال: الجماعة»(١).

١- حديث الثقلين...

وقد تواترت روايته عن رسول اللهﷺ بطرق كثيره نذكر منها ما أخرجه الترمذي في السنن (٣٢٩/٥) عن ابي سعيد الحذري وزيد بن ارقم عن رسول اللهﷺ أنهّ قال «أني تارك فيكم، ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما»، حسنّه الترمذي في كتابه، واخرجه بلفظ قريب منه احمد في مسنده في مواضيع عديده، والنسائي في السنن الكبرى، والحاكم في المستدرك، وصححه على شرط الشيخين، ورواه الترمذي في السنن عن جابر بن عبد الله الانصاري وصححّه الالباني في كتابه صحيح الترمذي (ح رقم ٢٩٧٨) و(ح رقم ٣٧٨٦)

---

(١) راجع الملحق رقم (١) آخر الكتاب لبسط الكلام عن سند حديث الفرقة الناجية.

من نفس الكتاب.... وهذا الكتاب هو مجموعة الاحاديث التي صححّها الالباني من سنن الترمذي.

ومصادر الحديث وطرقه كثيرة لا يسعنا أن نستعرضها في هذه المقالة(١).

٢- حديث السفينة:

أخرج احمد بن حنبل في فضائل الصحابة بسنده عن أخفش الكناني، قال سمعت أبا ذر يقول، وهو أخذ بباب الكعبة: من عرفني فانا من قد عرفني، ومن نكرني فأنا ابو ذر، سمعت النبيﷺ يقول: «إن مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك»(٢).

ودلالة الرواية على ما نقول واضحه، فهي صريحه بأن الله تعالى قد جعل أهل البيتعليهم السلام سبباً ووسيلة لسلامة الأمة

---

(١) راجع الملحق رقم(٢) فيما يتعلق بتصحيحات الشيخ الالباني لحديث الثقلين آخر الكتاب.

(٢) فضائل الصحابة: احمد بن حنبل :٧٨٦/٢ ج١٤٠٢. راجع الملحق رقم (٣) آخر الكتاب.

من فتن الضلالة، فمن اراد إن يستقيم على الصراط المستقيم، فعليه إن يتمسك بمذهبهم وتعاليمهم عليهم السلام.

بيت التوحيد وبيت الولاء:

وما قلنا في علاقة الولاية بالتوحيد يصح في علاقة (بيت الولاء) بـ(بيت التوحيد)، فإن (بيت الولاء) يأتي في إمتداد (بيت التوحيد)، وبالمقابل يقوم بيت (الولاء) بتفعيل دور (بيت التوحيد) في حياة الامة.

ويتكامل هذان البيتان في حياة الناس، ولا بدّ للناس منهما جميعاً، وكما لا غنى للناس بالتوحيد عن الولاية، كذلك لا غنى للناس ببيت التوحيد عن بيت الولاء.

ففي بيت الولاء يتثقف الناس لحماية التوحيد والمحافظة على سلامة مسار التوحيد... وعندما يتشعب التوحيد الى مسارات وإتجاهات وتأويلات خلال حركة التوحيد في التاريخ، يحافظ بيت الولاء الذي يحتضن الفرقة الناجية والصراط المستقيم الى الله... يحافظ بيت الولاء على سلامة حركة التوحيد.

فإن هذا البيت يحتضن دائماً الخط الثقافي الراشد السليم للتوحيد... وهو الخط الراشد الذي عبرّ عنه رسول الله صلى الله عليه وآله بالفرقة الناجية، في حديث متواتر معتبر.

وهذا الخط هو الذي يحافظ على سلامة مسيرة التوحيد واستقامته.

التحديات التي تواجه التوحيد والولاء:

وبعد هذا التوضيح للتوحيد والولاية أقول: إنَّ كلاً من التوحيد والولاية يواجهان تحديات صعبة شرسة، وذلك لأنّ التوحيد والولاية يقومان في حياة الانسان بالهدم والبناء: هدم الكيانات الجاهلية الفاسدة والظالمة المتسلطة على الناس، ونقل السيادة والحاكمية من الجماعات الظالمة المعتدية الى نصابه الشرعي لله ولرسوله، ومن جعل الله تعالى لهم الولاية من أوليائه عليهم السلام.

وهذا الهدم والبناء في مركز القوة يؤدي الى هدم وبناء واسع في الثقافة، والاقتصاد، والاعلام، والتربية، والتعليم، والاخلاق، والقيم... ولذلك فسوف يواجه كل من التوحيد والولاية تحديات صعبة وشرسة، لا تقبل الهدنة.

وإذا عرفنا أنهما يتكاملان وأن الولاية إمتداد للتوحيد عرفنا أنّ التحديات التي يواجهها الولاية تحديات مضاعفة...

ولمواجهة هذه التحديات لابد للأمة من بيت يحميها، ويكون لها مثابة وامناً، وحصناً ومعقلاً.

وكما أن التوحيد والولاء يتكاملان، كذلك هذان البيتان يتكاملان: بيت التوحيد وبيت الولاء.

وقد دأب شيعة أهل البيت عليهم السلام في الظروف التاريخية الصعبة التي مرّوا بها أيام بني أمية وبني العباس، ومن تعقبهم من الحكام الذين تتبعوهم خلف كل جحر ومدر لاستئصالهم وإبادتهم، بسبب انتمائهم لولاية أهل البيت عليهم السلام... أقول: دَأبَ شيعة أهل البيت عليهم السلام أنّ يحتموا بمراقد أهل البيت عليهم السلام وأن يجتمعوا حولها في مناسبات الزيارات الخاصة لأهل البيت، ولا سيما مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في النجف ومرقد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

وقد كان لاهتمام جماهير شيعة أهل البيت عليهم السلام بهذه الزيارة دور كبير ومؤثر في حفظ البيت الشيعي، وجمع صفهم، ولم شتاتهم، وحفظ تراثهم وثقافتهم من السطو

والعدوان الأموي والعباسي والأنظمة الفاسدة الظالمة التي تتبعت شيعة أهل البيت عليهم السلام بالقتل والإبادة والاستئصال، وكان آخرها العدوان الذي قاده حزب البعث المتسلط على العراق على شيعة العراق.

لقد مرَّ شيعة أهل البيت عليهم السلام بظروف صعبة وعسيرة في عهد الحجاج والمتوكل وسائر خلفاء بني أمية وبني العباس... وكان بعض هذه الظروف كفيل بأنهاء شيعة أهل البيت عليهم السلام في التاريخ، لولا رعاية الله تعالى لهذه الطائفة المضطهدة ولولا التعليمات الأمنية لأهل البيت عليهم السلام، ولولا أنهم كانوا يحفظون أنفسهم في هذه التجمعات الولائية الموسمية والدائمة الكثيرة في مناسبات أهل البيت عليهم السلام.

وأليك الأن توضيحاً أكثر لدور هذين البيتين (بيت التوحيد وبيت الولاء) في حفظ هذه الأمة من سطو الظالمين وبطشهم وفتكهم في التاريخ.

بيت التوحيد:

من أهم عوامل التحصين الثقافي (البيت)، ولكل أمة ولكل ثقافة وحضارة بيتاً، والبيت هو المكان الآمن الذي

يثوب اليه أهله ولا يتمكن أحد من إختراقه والتجاوز عليه.

وقد أمرنا الله تعالى أن نحفظ حرمة بيوت الناس فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾النور/٢٧.

وكما للأفراد والأسر بيوت ذات حرمة وحصانة قانونية، كذلك للأمم والحضارات بيوت ذات حرمة وحصانة تكوينية، تمنع أهلها وتحفظهم وتحصنهم.

وأن أوّل بيت وضع للناس هو بيت التوحيد وهو البيت الحرام بمكة المكرمة، وهو بيت مبارك للموحدين أقامه وشيده خليل الله إبراهيم عليه السلام واسماعيل، بأمر من الله.

يقول تعالى:

﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾آل عمران/٩٦.

وجعل الله تعالى الكعبة البيت الحرام قواماً للناس يُقَوّمُ حياتهم وثقافتهم وجماعتهم ووحدتهم وتوحيدهم، وذلك قوله تعالى: ﴿**جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً**

لِّلنَّاسِ﴾المائدة/٩٧.

وجعل الله تعالى البيت الحرام للناس مثابة(١) يرجعون اليه ويجتمعون عنده، وأمنا يحفظهم، ويحفظ دينهم وثقافتهم، ويحفظ التوحيد والتقوى والصلاة، وهذا هو دور بيت التوحيد في حياة الموحدين.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴾البقرة/١٢٥.

إذن البيت الحرام، والمقصود به الكعبة المعظمة، مثابة ومرجع لناس، يجمع الناس من بقاع شتى من الأرض، من كل فج عميق، جعلها الله مهوى أفئدة الموحدين، تجمعهم، وتجمع شملهم وكلمتهم... يقول تعالى، والخطاب من الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾الحج/٢٧.

ويدعو إبراهيم عليه السلام ربه تبارك وتعالى، ويقول: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ

(١) المثابة: مصدر ميمي من ثاب القوم الى المكان: أي رجعوا اليه، بمعنى المرجع الذي اليه يرجع الناس.

رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾إبراهيم/٣٧.

وهذا هو بيت التوحيد.

وجعل الله تعالى من المساجد بيوتا يأوي اليه الموحدون يذكرونه ويسبحونه بالغدو والأصال:

﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**﴾النور/٣٦-٣٧.

وهذه هي بيوت التوحيد.

بيت الولاء:

يأتي الولاء في امتداد التوحيد وبعد التوحيد، ويكمل مسيرة التوحيد...

واذ جعل الله تعالى الكعبة البيت الحرام مثابة وامناً للناس فلابد للناس من بيت آخر الى جانب بيت التوحيد، وهو بيت الولاء، يأتي في إمتداد بيت التوحيد يحميهم، ويمنعهم بنفس الملاك الذي كان بيت التوحيد يجمع الموحدين

جميعاً، ويمنعهم من سطوة المشركين وإفسادهم.

ولا مشاحة في الاصطلاح، فإن البيت يجمع ويمنع، يجمع أهله من التشتت، ويمنعهم من العدوان والبطش والفتك.

وللولاء ثقافة تأتي في إمتداد ثقافة التوحيد، وتتقوم بثقافة التوحيد، وللولاء جمهور واسع ينتشر في اقطار الارض في أقاليم الأرض الواسعة، ولابد لهذه الثقافة والجمهور الواسع من بيت يحميهم ويمنعهم.

فإن حملة الولاء، وهم شيعة أهل البيت عليهم السلام يواجهون تحديات مزدوجة تحديات للتوحيد وتحديات للولاء.

ولا تقل تحديات الولاء عن تحديات التوحيد... فقد كان يحاربهم في تاريخهم، حرب إستئصال، وإبادة دولتان قويتان هما بنو أمية وبنو العباس، كانوا يطاردونهم ويلاحقونهم، بنية الاستئصال والمحق، ويبحثون عنهم في تخوم الارض، وتستمر هذه الملاحقة الى اليوم الذي نعيش فيه من قبل دول ومؤسسات ومنظمات إرهابية، تعمل على استئصال جذور الولاء من الارض كلها.... وتأتي في إمتداد

بني أمية(١).

ولولا السياسيات الأمنية الذكية التي إستخدمها أتباع أهل البيت عليهم السلام على إمتداد التاريخ لكانوا اليوم في خبر كان كما يقولون.

الحائر الحسيني بيت الولاء:

أقول كان لابد لاتباع أهل البيت عليهم السلام في مقابلة تلك التحديات من بيوت وتجمعات، ومناسبات زمانية ومكانية تجمعهم، وتحفظهم، وتحصّنهم.

وقد كان الحائر الحسيني من هذه البيوت... بل من أهمها وأعظمها... يجمع الطائفة ويؤويها ويحفظها ويمنعها.

والروايات الكثيرة الواردة في فضل زيارة الحسين عليه السلام وقيمتها عند الله ناظرة الى هذا المعنى، فيما تنظر اليه من معاني شريفة.

---

(١) بنو أمية ليست نسباً ووشيجة أسرّية، وإنما هي ثقافة وميراث من الحقد والتحريف للخط العلوي... وهذا معنى (العن بني أمية قاطبة) وهو أمر آخر غير الإمتداد النسبي، فقد يكون في بني أمية وامتداداتهم ناس صالحون.

وقد ورد التأكيد على أنّ الحج لا يغني عن زيارة الحسين عليه السلام،

عن الصادق عليه السلام: «لو أنّ احدكم حج دهره، ثم لم يزر الحسين عليه السلام لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله»(١).

والرواية وإن كانت واردة في مورد حق الإمام الحسين عليه السلام على المسلمين، وأنّ حقه عليه السلام حق لرسول الله صلى الله عليه وآله على هذه الأمة...

ولأداء هذا الحق الى رسول الله صلى الله عليه وآله لاّ بد من زيارة الحسين عليه السلام بعد الحج.

إلا أنّ في هذه الرواية دلالة على أن مهمة الحج غير مهمة الزيارة، وأنّ الحج يحفظ التوحيد، ولولا الحج لما اتصلت حلقات التوحيد الى اليوم ومرقد الحسين عليه السلام يحفظ الولاء... ولولاه لما حفظ الناس التوحيد.

وللتوحيد تحديات، كما للولاء تحديات.

والحج يمنح الأمة المقاومة في مقابل التحديات التي تواجه التوحيد، وزيارة الإمام الحسين عليه السلام تمنح الأمة مقاومة التحديات التي تواجه الولاء.

وليست زيارة الإمام الحسين عليه السلام بديلاً للحج، ولا يغنى

---

(١) كامل الزيارة: ٢٣٨ ط ١٤١٧قم.

عن الحج، كما يروق لبعض أن يتهموا به شيعة أهل البيت عليهم السلام.

فإن شيعة أهل البيت عليهم السلام من أكثر الناس التزاماً وتعهداً بالحج، وحضوراً في هذا الموسم الاسلامي التوحيدي العظيم... ولكن الزيارة تكمل مهمة الحج، كما يكمل الولاء مهمة التوحيد على وجه الأرض، ولا يصح بتر الولاء عن التوحيد.

والى هذا المعنى تشير آية الطاعة في سورة النساء وآية الولاية في سورة النساء والمائدة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾النساء/٥٩.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾المائدة/٥٥.

وقد تحدثنا عن دلاتهما على وقوع الولاء في إمتداد التوحيد، فلا نعيد.

وبهذا التوضيح من بيت يجمع شمل أهل الولاء والمنتمين الى هذه الشبكة الكونية العظيمة من القارات الخمسة. وقد استقر منهج أهل البيت عليهم السلام أن يكون مرقد الإمام الحسين عليه السلام من أعظم بيوت الولاء.

عن عبد الله بن بكير عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله إختار من بقاع الأرض ستة: (البيت الحرام) و(الحرم) و(مقابر الانبياء) و(مقابر الاوصياء) و(مقابر الشهداء) و(المساجد) التي يذكر فيها اسم الله.

يا ابن بكير هل تدري ما لمن زار الحسين عليه السلام إذ جهله الجاهل، ما من صباح إلا وهاتف من الملائكة ينادي يا طالب الخير أقبل خالصه الله ترحل بالكرامة، وتأمن الندامة(١).

راجع كامل الزيارات لابن قولوية تجد العجب في فصل زيارة الحسين عليه السلام في حديث أهل البيت عليهم السلام.

كيف تحصن بيوت الولاء أهلها:

المسألة عندنا واضحة لا تحتاج الى أن نطيل الوقوف عندها.

إنّ البيت -كل بيت- مثابة لأصحابه، من البيت الحرام وهو أول بيت للناس (من أهل التوحيد) على وجه الأرض، الى سائر بيوت الله تعالى في اطراف المعمورة، الى بيوت الناس في المدن والقرى.

---

(١) كامل الزيارات: لابن قولوية: ٢٣٨.

وبنفس المعيار نقول أنّ التجمع العظيم الذي يحصل كل سنة في عاشوراء والاربعين والنصف من شعبان ، وغيرها من مواسم الزيارات الخاصة حول مرقد الإمام الحسين عليه السلام هو الذي يحقق الحصانة والأمن للولاء من بطش الظالمين وفتكهم، كما كان الأمر كذلك في بيت التوحيد، فاستمع الى هذا التوضيح.

الجماعة الراشدة وجماعة الغوغاء:

إنّ اجتماع الناس على نحوين:

إجتماع راشد موجّه وهادف وباتجاه التوحيد والصلاة والتقوى والولاء.

واجتماع غوغائي

والإجتماع الاول صالح وبناء وآمن ونافع

والاجتماع الثاني إجتماع قطيعي وفاسد ومخرّب

والاجتماع الذي نتحدث عنه في بيت (التوحيد) و(الولاء) هو الاجتماع الاول.

لقد جعل الله تعالى في إجتماع المسلمين الموحدين والمؤمنين خيراً عظيماً وبركة وأمناً.

إن هذا الاجتماع من منازل رحمة الله وبركاته، لاشك في

ذلك.

وقد جعل الله تعالى في هذا الاجتماع قوة للمسلمين والمؤمنين وأمناً لهم وحصانة، ومنعة ورشداً وهدى.

وقد صرحت الروايات المتظافرة بهذا المعنى.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يد الله على الجماعة، والشيطان مع من خالف الجماعة يركض»(١).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يد الله مع الجماعة»(٢).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يد الله على الجماعة، فإن إشتذ الشاذ منهم إختطفه الشيطان، كما يخطف الذئب الشاة الشاذة من الغنم»(٣).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه»(٤).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب»(٥).

---

(١) ميزان الحكمة حرف الجيم (الجماعة)

(٢) ميزان الحكمة حرف الجيم (الجماعة)

(٣) ميزان الحكمة حرف الجيم (الجماعة)

(٤) ميزان الحكمة حرف الجيم (الجماعة)

(٥) ميزان الحكمة حرف الجيم (الجماعة)

لقد حرص الاسلام على أنّ يحافظ المسلمون على الحضور في الجماعة الهادية الراشدة، وجعل الله تعالى هذه الجماعة حصناً ومعقلاً للتوحيد، والولاء، والصلاة، والقيم، وما أن يَشُذَّ شاذ منهم حتى يسقط فريسة للذئاب.

ونعود مرة أخرى الى الاجتماعات الحاشدة العظيمة التي تجتمع عند مرقد أمير المؤمنين عليه السلام بمناسبة (مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله) و(ولادته) و(الغدير)، والتجمعات العظيمة عند مرقد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء في المنتصف من شعبان وعاشوراء و(الاربعين)، وقد أحصى بعضهم أهل المعرفة والاختصاص بالاحصاء التجمع العظيم الذي حصل في كربلاء في الاربعين من سنة ١٤٣٣هـ فكان ١٢،٠٠٠،٠٠٠ مليون من شيعة أهل البيت عليهم السلام من القارات الخمسة.

وقد حضر شطر عظيم منهم الزيارة مشياً على الاقدام من مسافات طويلة، ولولا أنّ الزائرين يبدؤون الزيارات بأسبوعين قبل الموسم ويعودون لما إتسعت مدينة كربلاء لهذا الجمهور العظيم من الزائرين، هذا رغم التهديدات الامنية التي تحيط الزائرين.

أن أول ما يشعر به الزائر في هذا الحشد العظيم في البيت الحرام وفي عرفة وفي بيوت الولاء هو الاحساس بذاته، وقد

يغيب الانسان عن نفسه، فيشعر بالغربة وكأبة الغربة، وهو من مصائب الحضارة المادية المعاصرة.

أقول أن أول ما يشعر به الانسان المسلم في تجمعات التوحيد والولاء أنه يجد نفسه، ويشعر بنفسه.

ويشعر ثانياً بإلاعتداد بما عنده من الفهم والوعي والبصيرة والهدى والتوحيد والولاء.

ويذهب عنه ثالثاً الاحساس بالضعف والوحشة والانفراد.

عندما تلتقي الجماهير الولائية الحاشدة في كربلاء من القارات الخمسة، يشعرون بأنهم يخترقون الزمان والمكان، فلا يحجبهم الف واربعمائة سنة عن عاشوراء سنة ٦١هـ، ولا الارض المنبسطة الواسعة تحت اقدامهم عن لقاء المؤمنين بعضهم ببعض، ولا حواجز اللغة عن التفاهم والتعايش على صعيد الولاء والحب.

والشعارات ، والهتافات، والاهازيج، ونصوص الزيارات التي يرددّها الزائرون، ومجالس النياحة والنعي، ومواكب العزاء والفرح التي تنعقد في هذه المناسبات، والخطابات والهتافات الولائية التي توجه للزائرين... كل ذلك يعمق ثقافة الولاء في نفوس الزائرين، ويرسخها، ويجذَرها، ويؤصلها، لتقوى على مواجهة التحديات الصعبة التي يلقاها

أتباع أهل البيت عليهم السلام، في حوادث التفجير والقتل، وفي المواجهات الاعلامية الشرسة التي تتبناها أدوات اعلامية ضخمة، تموّلها أنظمة خليجية بعينها، بإمكانات مالية كبيرة، وفي الشبهات التي يثيرونها تجاه ثقافة أهل البيت عليهم السلام ظلماً وعدواناً.

إن الشعائر التي يرفعها الناس ويعلنونها في كربلاء تعمق في نفوسهم ثقافة الولاء، وتمنحهم القوة على مواجهة هذه التحديات، وترسخ الولاء في عقولهم وقلوبهم معاً، وتعيد الثقة والطمأنينة الى نفوسهم، وتُعِدَّهم لمواجهة التحدي بالتحدي إن شاء الله.

والحمد لله على نعمتي (التوحيد والولاء) وأنهما لنعمتان عظيمتان لو وعاهما الناس، ونسأل الله تعالى أن يبقيهما لنا من عبث الفاسدين وبطش الظالمين.

مجموعة التوحيد والولاء

قانون التعارف في القرآن:

إنما نقول: قانون، ولم نقل نظرية، لأن القرآن يقرّره، وما يقرره القرآن قانون وسنة آلهية، وليس من أدب التعامل مع القرآن أن نُسمّي السنن والقوانين التي يعرّفها القرآن بـ(نظريات).

وقانون التعارف من تلك القوانين التي يعبر عنها القرآن بالسنن الالهية، وهو قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾الحجرات/٣.

والتعارف مشتق من (المعرفة) بصيغة (التفاعل).

وهذه الصيغة في اللغة العربية تفيد الأخذ والعطاء، والمعنى: إنّ الله تعالى إنّما خلق الناس شعوباً وقبائل، متمايزين في الاعراف والثقافات، ليتعارفوا فيما بينهم، أي ليأخذ بعضهم من بعض، وهو بمعنى التفاعل والتعاطي بالأخذ والعطاء.

وسنة الله تعالى في التعاطي والتفاعل في المجتمع وحياة الانسان هي سنة الله تعالى في التعاطي والتفاعل في الفيزياء.

وسنن الله تعالى في الكون واحدة، في الفيزياء وفيما وراء الفيزياء، الا بمقدار ما يتعلق باختلاف الموضوعات.

وكما يتعاطى السائل الساخن والسائل البارد في الفيزياء، فتنتقل الحرارة من السائل الساخن الى السائل البارد، وتنخفض حرارة السائل الساخن بسبب مجاورة السائل البارد.

وكما يتعاطى السائل الحلو والسائل المر، فتنتقل الحلاء من السائل الحلو الى السائل المر وتنتقل المرورة من السائل المر الى السائل الحلو.

وكما تتعاطى السوائل الطيّبة فتنتقل النكهات من بعضها الى بعض، كذلك يتم التعاطي في المجتمعات الانسانية بين الحضارات والثقافات والاعراف والاخلاق والقيم.

ولكن لابد أن نذكر أن التعاطي هنا في المجتمع يتم بالاختيار، وليس بصورة قهرية، كما يتم التعاطي في الفيزياء...

وهذه هي ميزة التعاطي الاجتماعي عن التعاطي في الفيزياء.

وقد أمرنا الله تعالى في هذا (التعاطي) و(التعارف) أنّ لا

نأخذ بثقافة وقيمة وخلق يتنافى ويتعارض مع الاسلام.

يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ**﴾آل عمران/١٩.

ويصف الله تعالى المؤمنين الذين يُنيبُون الى الله بأنهم ينتقون مما يجدون عند الناس أحسنها، فيأخذون به.

﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾الزمر/١٨.

وعلى هذه المنهجية يجب أنّ يتم التعارف والتعاطي بين الناس ثقافياً وحضارياً.

التعارف والتعاطي في مساحة التوحيد:

إنّ اجتماع أهل التوحيد وأهل القبلة في المسجد الحرام وفي عرفات والمزدلفة ومنى، بمثابة إجتماع الطيبات في مكان واحد.

فلكل قوم وإقليم من المسلمين نكهة طيبة تخصه، فإذا إجتمعت هذه المجموعة من الطيبات، يكتسب بعضهم من بعض نكهات الطيبات ونفحات الاطياب.

فيكون لهذا التجمع دور في نقل النكهات من قوم الى قوم

ومن إقليم الى إقليم.

أن العطارين قد يخلطون الاطياب بعضها ببعض، ويسمون هـذا الخلـيط بـ(المجموعة)، و(المجموعـة) مـن أفضـل الاطياب، لأنها تحمل كل طيبات الاطياب.

كذلك أسرة التوحيد المجتمعة حول البيت الحرام، وفي عرفة، والمزدلفة، ومنى مؤلفة من مجموعة من الاطياب بعضهم يكسب من بعض نكهات التوحيد، والمعرفة، والتقوى، والاخلاص، والدعاء، والتضرع، والانابة، والإخبات، وتلاوة القرآن، والسجود، والذكر، والشكر، والخوف، والرجاء... ومالا اطيق احصاءه من نفحات التوحيد ونسمي هذه المجموعة بمجموعة التوحيد.

التعاطي والتعارف في مساحة الولاء:

وفي إمتداد (مجموعة التوحيد) (مجموعة الولاء) وهذه المجموعة تحمل عبق التوحيد والولاء مجتمعة، لأن الولاء في إمتداد التوحيد، ولا ولاء إلا من خلال التوحيد، فتجتمع في مجموعة (الولاء) كل من أطياب التوحيد والولاء.

إن التجمع الولائي العظيم الذي يحصل عند مرقد أمير

المؤمنين عليه السلام في زيارات الغدير، وعند ضريح الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء في النصف من شعبان وفي الاربعين مصاديق لمجموعات الولاء والتوحيد، وتحمل عبق كل منهما.

ها هنا يجتمع المؤمنون من كل فج عميق، وكل قوم وكل إقليم منهم يحمل نكهة، وطيبا، وطعماً، وذوقاً في الاخلاق، والسلوك، والعرفان، والاخلاص، فيأخذ كل منهم ما يأتي به الآخرون من نكهات التوحيد والولاء، كما يهبهم ما عنده من نفحات التوحيد والولاء.

أنّ القضية المعروفة (بأن الطرق الى الله بعدد نفوس الخلائق) صحيحة وثابتة علمياً، وكذلك مناهج العمل الصالح والسلوك الى الله بعدد نفوس الخلائق بنفس الملاك.

وفي كربلاء تجتمع هذه المجموعات من الطيّبات في موضع واحد، فيأخذ كل واحد منهم ما يجده عند الاخرين، بقدر إنائه ووعائه... وحبّذا سعة وعاء القلب والعقل.

نكهة من القطيف، ونفحة من البحرين، وطيبات من العراق، وايران، والكويت، ولبنان، واذربيجان، والهند، وباكستان، وبنغلادش، ونقجوان، ومهاجرين وجاليات من

اوربا، وأمريكا، واستراليا.

واستنشاق هذه المجموعة يكسب الانسان كل هذه النكهات الطيبات...

إنها روائح الجنة، لمن آتاه الله الذوق السليم والشم السليم الراشد.

مجموعة من الوعي، والحب، والولاء، والاخلاص، والتقوى تجتمع في مكان واحد، وكذلك مجموعة من الظلامات، تختزن: ثورات، وحركات، وصحوات، ونداءات، وصرخات وإستنصاراً لضمائر المسلمين تجتمع في مكان واحد.

فيتفاعل جميع ذلك في كربلاء.

روى عمران بن مقدم، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: خرجت مع أبي الى مسجد النبي صلى الله عليه وآله حتى إذا كنا بين القبر والمنبر، نظر الى ناس من أصحابه، فدنا منهم وسلم عليهم، ثم قال: إني والله أُحُبّ ريحكم وأرواحكم، فأعينونا على ذلك بورع واجتهاد. «واعلموا أن ولايتنا لاتنال إلا بالعمل والاجتهاد».

أنتم والله شيعتنا، فأنتم شرطة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم

السابقون الأولون (والسابقون) الآخرون، السابقون في الدنيا الى الخير، والسابقون في الآخرة الى الجنة.

ضمّنا لكم الجنة بضمان الله، وضمان رسول الله صلى الله عليه وآله.

والله ما على درج الجنة، أكثر أرواحاً منكم، وانكم لفي الجنة. فتنافسوا في الدرجات.

أنتم الطيبون، ونساؤكم الطيبات، كل مؤمنة حوراء عيناء، وكل مؤمن صديّق(١).

وعن الصادق عليه السلام لملأ من الشيعة بعد أن سلم عليهم: إني أحب ريحكم وأرواحكم، فأعينونا بورع واجتهاد، واعلموا أن ولايتنا لا تنال إلا بالورع فأنتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون في الدنيا الى ولايتنا وفي الآخرة الى الجنة، قد ضمنا لكم الجنة بضمان الله وضمان رسوله، فتنافسوا في فضائل الدرجات، وأنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات كل مؤمنة حوراء (عيناء)، وكل مؤمن صديق(٢).

---

(١) شرح الاخبار للقاضي النعمان المغربي: ٤٣٦/٣-٤٣٧. وأمالي الصدوق: ص٥٠٠.

(٢) مشارق انوار اليقين: ص٧٠.

وعن ميسر عن ابي جعفر عليه السلام: قال كنت وأنا علقمة الحضرمي وابو حسان العجلي وعبد الله بن عجلان ننتظر ابا جعفر عليه السلام. فخرج علينا، فقال: مرحباً واهلاً، والله أني لأحُب ريحكم وارواحكم وانتم لعلى دين الله(١).

وقفة مسؤولية:

ولكي لا نسترسل في هذا السياق بصورة عاطفية، أقول أن هذا الجمهور العظيم ١٢،٠٠٠،٠٠٠ او ١٤،٠٠٠،٠٠٠ الذي يجتمع في كربلاء يوم الاربعين من كل اطراف العراق، وأطراف العالم، يجتمع بعفوية حقيقية، ولو أن دولاً وأنظمة ومؤسسات دوليّة كبيرة بذلت المليارات لا تستطيع أن تجمع بعض هذا الحشد الهائل في هذا المكان المحدود، ما في ذلك شك.

ولكن يجب الا تجرفنا العاطفة. إنَّ الجمهور قد أعطى وأوفى، بحبه الفطري لهذا التجمع الولائي حقه، ويبقى على العلماء والمثقفين توجيه هذه العفوية بصورة عقلانية، وطبقاً لتعليمات أهل البيت عليهم السلام ولا يتركوا إدارة الشعائر التي يحملها

(١) تفسير نور الثقلين للحويزي: ٤٧٢/١.

الجمهور الحسيني للسذج البسطاء من الناس، ومن لف لَفَّهم، ليحرّفوا هذه المسيرة الولائية المعطاء عن مسارها الصحيح.

لقد أعطى الجمهور، وأوفى ما عليه، فهل أعطى العلماء والمثقفون ما عليهم من توجيه وتثقيف لهذا الجمهور الولائي الحاشد؟ ام جارى بعضهم السذج البسطاء في تحريف شعائر الولاء عن مسارها العقلاني الصحيح لذي به روايات أهل البيت عليهم السلام ؟

مجموعات النتن والجيف:

وقبل أن افارق هذه النقطة أقول: إنَّ في قبال مجموعتي (التوحيد) و(الولاء) الطيبتين، نشاهد على صفحات الفضائيات مجموعات من النتن والجيف، في المؤتمرات والملتقيات التي تجمع القادة الأوربيين والامريكان واسرائيل، والجبابرة والحكام الذين يحكمون أقاليم واسعة من العالم الاسلامي من عملاء الغرب بالظلم والبطش.

عندما يطل الانسان على قاعة من هذه القاعات والأروقة الفخمة التي تجمع هؤلاء الطغاة الجبارين في الغرب والشرق، يجد مجموعات من النتن والجيف تجتمع في

مكان واحد:

الغطرسة، والكبرياء، والغرور، والعناد، والبغضاء، والتضليل، والمكر، والتآمر، ومشاققة الله، وظلم العباد، والأجرام، والاسراف، والتبذير، والترف، والتهالك على الدنيا، والعمالة للغرب، والخيانة والكذب، والبطش، والسفه، والإعراض عن الله، والاستخفاف بالقيم، وإعلان الحرب على الله، والاستكبار على المستضعفين من شعوبهم والذل بين يدي أسيادهم في الغرب، والسكر، والكفر، والكفران، والمنكرات، والعدوان، والفتك، وما لا أطيق احصاؤه من النتن والجيف التي يحملها هؤلاء معهم.

فيكسب كل واحد منهم ما يحمله الاخرون من القذر والنتن.

هذان تراكمان، تراكم من الطيبات في حقل التوحيد والولاء، وتراكم من الخبائث في حقول الفساد والطغيان والاستكبار والشرك والنفاق.

والله تعالى يميّز بينهما يوم القيامة، فيجعل الاولى في الجنة ويدفع الثانية الى النار ﴿**لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً**

فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾الأنفال/٣٧.

الملاحق

الملحق رقم (١)

سند حديث الفرقة الناجية:

لهذا الحديث الفاظ مختلفة ولكنها متقاربه او متحده في المعنى، وله طرق كثيرة جداً، وصححّها جمع من حفاظ الحديث النبوي كالترمذي في السنن، والحاكم في مستدرك الصحيحين، والذهبي في التعليقة، وابن حبان في الصحيح، والالباني في سلسلة الاحاديث الصحيحة، والشاطبي في الاعتصام، والسيوطي في الجامع الصغير وغيرهم من اعلام المحدثين، ولسنا بصدد البسط والشرح في هذه النقطة.

وفي هذا الحديث نجد توضيحاً للنقطة الاولى والثانية.

إختلاف المسلمين في الاسلام وإنحراف الكثير منهم عن الصراط المستقيم، وتحريفهم للاسلام.

ويبقى علينا أن نتحدث عن النقطة الثالثة، وهي المعالم التي جعلها الله تعالى لعباده ليهتدوا بها الى الحق، ويحفظوا بها هذا الدين عن الانحراف الذي يأتي به إئمة الضلال.

وقد وجدنا فيما صح عن رسول الله ﷺ بيانات واضحة وصريحة في تبيين المعالم التي يهتدي بها الناس الى

التوحيد الحق والدين الحق في وسط مضلات الفتن التي ينحرف فيها الناس عن صراط الله المستقيم.

الملحق رقم (٢)

تصحيح الشيخ الالباني لحديث الثقلين:

للشيخ ناصر الدين الالباني، وهو من كبار أئمة السلفيين في العصر الحاضر كلام حول تصحيح هذا الحديث نذكره بطوله، معتذرين عن القراء الكريم، لو أن هذا السرد بطوله يخرجنا عن حالة الاختصار والايجاز التي نلتزم بها في امثال هذه المقالات.

ولهذا السبب آثرنا إن ندرج هذه التصحيحات في ملحق الكتاب.

يقول الشيخ ناصر الدين الالباني في كتابه الكبير السلسة الصحيحة (المجلدات الكاملة):٣٥٥/٤.

حديث: يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اخذتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

أخرجه الترمذي (٣٠٨/٢) والطبراني (٢٦٨٠) عن يزيد بن

الحسن الأنماطي عن جعفر عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: «رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: «هذا حديث حسن...» غريب من هذا الوجه، وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم»

قلت: الحديث صحيح، فإن له شاهدا من حديث زيد بن أرقم قال: «قام رسول ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى (خما) بين مكة والمدينة، فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور (من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضل)، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به- فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال:- وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»

أخرجه مسلم (١٢٢/٧-١٢٣)، والطحاوي في (مشكل الآثار) (٣٦٨/٤) وأحمد (٣٦٦/٤-٣٦٧)، وابن أبي عاصم في (السنة) (١٥٥٠ و١٥٥١) والطبراني (٥٠٢٦) من طريق يزيد

بن حيان التميمي عنه.

ثم أخرج أحمد (٣٧١/٤) والطبراني (٥٠٤٠) والطحاوي من طريق علي بن ربيعة فال: «لقيت زيد بن أرقم، وهو داخل على المختار أو خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: إني تارك فيكم الثقلين (كتاب الله وعترتي)؟ قال: نعم»

وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح. وله طرق أخرى عند الطبراني (٤٩٦٩-٤٩٧١ و٤٩٨٠-٤٩٨٢ و٥٠٤٠) وبعضها عند الحاكم (١٠٩/٣ و١٤٨ و٥٣٣) وصحح هو والذهبي بعضها.

وشاهد آخر من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا: «إني أوشك أن أدعى فأجيب) وإني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي، الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض» أخرجه أحمد (١٤/٣ و١٧ و٢٦ و٥٩) وابن أبي عاصم (١٥٥٣ و١٥٥٥) والطبراني (٢٦٧٨-٢٦٧٩) والديلمي (٤٥/١/٢).

وهو إسناد حسن في الشواهد. وله شواهد أخرى من حديث أبي هريرة عند الدارقطني (ص٥٢٩) والحاكم (٩٣/١) والخطيب في (الفقيه والمتفقه) (١/٥٦). وابن عباس عند الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي. وعمرو بن عوف عند ابن عبد البر في (جامع بيان العلم) (٢٤/٢، ١١٠)

وهي وإن كانت مفرداتها لا تخلو من ضعف، فبعضها يقوي بعصا، وخيرها حديث ابن عباس.

ثم وجدت له شاهدا قويا من حديث علي مرفوعا به. أخرجه الطحاوي في (مشكل الآثار) (٣٠٧/٢) من طريق أبي عامر العقدي: حدثنا يزيد بن كثير عن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن علي مرفوعا بلفظ: «...كتاب الله بأيديكم، وأهل بيتي».

يرويه شريك عن الكين بن الربيع عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت مرفوعا به.

أخرجه أحمد (١٨١/٥-١٨٩) وابن أبي عاصم (١٥٤٨-١٥٤٩) والطبراني في «الكبير» (٤٩٢١-٤٩٢٣) وهذا إسناد حسن في الشواهد والمتابعات.

وقال الهيثمي في «المجمع» (١٧٠/١): رواه الطبراني في

«الكبير» «ورجاله ثقات»! وقال في موضع آخر (١٦٣/٩): «رواه أحمد، وإسناده جيد».

أقول: بعد تخريج هذا الحديث بزمن بعيد، كتب علَّي أن أهاجر من دمشق الى عمان، ثم أن أسافر منها الى الإمارات العربية، أوائل سنة (١٤٠٢هجرية)، فلقيت في (قطر) بعض الأساتذة والدكاترة الطيبين، فأهدى الي أحدهم رسالة له مطبوعة في تضعيف هذا الحديث، فلما قرأتها تبين لي أنه حديث عهد بهذه الصناعة، وذلك من ناحيتين ذكرتهما له: الأولى: أنه اقتصر في تخريجه على بعض المصادر المطبوعة المتداولة، ولذلك قصر تقصيرا فاحشا في تحقيق الكلام عليه، وفاته كثير من الطرق والأسانيد التي هي بذاتها صحيحة أو حسنة فضلا عن الشواهد والمتابعات، كما يبدو لكل ناظر يقابل تخريجه بما خرجته هنا..

الثانية: أنه لم يلتفت الى أقوال المصححين للحديث الضعيف (أنه) يتقوى بكثرة الطرق، فوقع في هذا الخطأ الفادح من تضعيف الحديث الصحيح. وكان قد نمى الىَّ قبل الالتقاء به واطلاعي على رسالته أن أحد الدَكاترة في (الكويت) يضعف هذا الحديث، وتأكدت من ذلك حين

جاءني خطاب من أحد الإخوة هناك، يستدرك علي إيرادي الحديث في «صحيح الجامع الصغير» بالأرقام (٢٤٥٣ و٢٤٥٤ و٢٧٤٥ و٧٧٥٤) لأن الدكتور المشار إليه قد ضعفه، وأن هذا استغرب مني تصحيحه ! ويرجو الأخ المشار اليه أن أعيد النظر في تحقيق هذا الحديث، وقد فعلت ذلك احتياطاً، فلعله يجد فيه ما يدله على خطأ الدكتور، وخطئه هو في استرواحه واعتماده عليه، واعتماده عليه، وعدم تنبهه للفرق بين ناشئ في هذا العلم، ومتمكن فيه، وهي غفلة أصابت كثيرا من الناس الذين يتبعون كل من كتب في هذا المجال، وليست له قدم راسخة فيه والله المستعان.

من هم أهل البيت؟

ثم قال الالباني واعلم أيها القارء الكريم، أن من المعروف أن الحديث مما يحتج به الشيعة، ويلهجون بذلك كثيرا، حتى يتوهم أهل السنة أنهم مصيبون في ذلك، وهم جميعا واهمون في ذلك، وبيانه من وجهين:

الاول: أن المراد من الحديث في قوله ﷺ: «عترتي» أكثر مما يريده الشيعة، ولا يردّه أهل السنة بل هم متمسكون

به، ألا وهو أن العترة فيهم هم أهل بيته صلى الله عليه وآله وقد جاء ذلك موضحاً في بعض طرقه كحديث: «عترتي أهل بيتي» وأهل بيته في الأصل هم نساؤه صلى الله عليه وآله وفيهن الصديقة عائشة رضي الله عنهن جميعا كما هو صريح قوله تعالى في(الأحزاب) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

بدليل الآية التي قبلها والتي بعدها: ﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً**﴾

وتخصيص الشيعة (أهل البيت) في الآية بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام دون نسائه صلى الله عليه وآله من تحريفهم لآيات الله تعالى انتصارا لأهوائهم كما هو مشروح في موضعه.

مناقشة رأي الشيخ الالباني في (أهل البيت):

وهذا أمر غريب من رجل عالم بالحديث مثل الشيخ الالباني.

فإن سياق الآيات في سورة الاحزاب لا تزيد على أن تكون قرينة على رأي الشيخ الالباني ومن حذا حذوه من أهل السنة.

ورأي الشيخ الالباني ونظراؤه لا يزيد على أن يكون اجتهاداً منهم في فهم أهل البيت عليهم السلام من آية ٣٣ من سورة الأحزاب، بناءً على سياق الآيات في سورة الاحزاب.

وهذا الاجتهاد يلغيه النص النبوي الصريح دلالة، والصحيح سنداً: في أن أهل البيت عليهم السلام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في عصر نزول آية التطهير دون غيرهم من زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وإن أم المؤمنين أم سلمه رضي الله عنها، سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون من أهل البيت الذين نزلت فيهم آية التطهير فلم يستجب لها، وقال لها «أنت على مكانك وأنت الى خير» ونكتفي هنا برواية الترمذي في السنن وتصحح الشيخ الالباني لها ونقتصر عليها.

أخرج الالباني في كتابه صحيح الترمذي (وهو ما صححه من سنن الترمذي)

عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيﷺ قال: نزلت هذه الآية على النبيﷺ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا في بيت أم سلمة، فدعا النبيﷺ فاطمة وحسنا وحسينا، فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره، فجلله بكساء، ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

قالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله. قال: أنت على مكانك، وأنت الى خير. قال الالباني (صحيح مضى برقم ٢٤٣٥)

وأخرجه الالباني في صحيح الترمذي ٢٥٦٢ وقال عنها: (صحيح)

عن عمر بن ابي سلمة ربيب النبيﷺ قال لما نزلت هذه الآية على النبيﷺ «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسنا وحسينا، فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره، فجلله بكساء، ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس

وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة وأنا معهم يا نبي الله قال أنت على مكانك وأنت على خير.

(صحيح الروض النضير ٩٧٦ و ١١٩٠: أخرجه مسلم عن عائشة مختصرا.

وفي صحيح الترمذي ٢٥٦٢- (صحيح) عن أم سلمة أن النبيﷺ جللّ على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرّهم تطهيرا، فقالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله قال: إنك على خير (سنن الترمذي)

سنن الترمذي ٣٢٠٥

حدثنا قتيبة حدثنا محمد بن سليمان بن الأصبهاني عن يحيى بن عبيد عن عطاء بن أبي رباح عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيﷺ قال لما نزلت هذه الآية على النبيﷺ «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» قالت أم سلمة وأنا معهم يا نبي الله قال أنت على مكانك،

وأنت على خير

قال ابو عيسى هذا حديث غريب من هذا الوجه من حديث عطاء عن عمر بن أبي سلمة.

تحقيق الألباني:

صحيح، الروض النضير (٩٧٦ و ١١٩٠)

وعن (سنن الترمذي)

٣٧٨٧ حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا محمد بن سليمان الأصبهاني عن يحيى بن عبيد عن عطاء بن أبي رباح عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيﷺ قال نزلت هذه الآية على النبيﷺ «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» في بيت أم سلمة فدعا النبيﷺ فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت الى خير

قال وفي الباب عن أم سلمة ومعقل بن يسار وأبي الحمراء وأنس قال وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

تحقيق الالباني/ صحيح مضى برقم ٣٤٢٥.

وعن (سنن الترمذي)

٣٨٧١ حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن زبيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أنَّ النبيﷺ جللّ على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله قال إنك الى خير قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وهو أحسن شيء روي في هذا الباب وفي الباب عن عمر بن أبي سلمة وأنس بن مالك وأبي الحمراء ومعقل بن يسار وعائشة.

تحقيق الألباني:

صحيح بما تقدم رقم (٣٤٣٥)

وأخرج الالباني في صحيح الترمذي (وهو ما صححه من سنن الترمذي) ٢٩٧٩ صحيح

وعن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيﷺ قال نزلت هذه الآية على النبيﷺ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا في بيت أم سلمة فدعا النبيﷺ فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب

عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله. قال: أنت على مكانك، وأنت على خير.

قال الالباني صحيح مضى برقم (٣٤٣٥).

أقول هذه الروايات وهي طائفة واحدة فقط من الروايات الواردة في الباب، صريحة في أن رسول الله ﷺ قد شخص أهل البيت عليهم السلام تشخيصاً، فقال: اللهم (هؤلاء بيتي)، وهو ظاهر بيّن في الحصر والتشخيص، وإمعاناً في التشخيص جللهم بالكساء، وتطلب أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، أن يأذن لها رسول الله ﷺ أن تكون منهم، فلم يستجب لها، ويقول لها «أنت على مكانك، أنت الى خير»

وهل يمكن أن يكون التوضيح والتشخيص أكثر من ذلك، ويصحح الالباني كل هذه الروايات جميعاً.

ثم يقول في موضع آخر ناسياً أنه قد صحح من قبل هذه الروايات أن آية الاحزاب ٣٣ تعم زوجات رسول الله ﷺ جميعاً ومنهم أم المؤمنين عائشة؟!

سبحان الله كبوة وعثرة من عالم بالحديث النبوي والله تعالى العاصم من الأخطاء.

ثم نقول لو صح مايذكره فضيلة الشيخ الالباني فالى من

نرجع اذا اختلفن أمهات المؤمنين في الرأي والموقف.

فقد كانت أم المؤمنين عائشة تدعو للخروج على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل، وقادت الجيش الى قتاله الى البصرة، وأم المؤمنين أم سلمة كانت تمنع من ذلك وتعارض، وارسلت إبنها الى جيش علّي عليه السلام لتقاتل الجيش الذي كانت تقوده أم المؤمنين عائشة...

وحصل قتال ذهبت فيه نفوس الالاف من المسلمين كان أمير المؤمنين عليه السلام وعائشة أم المؤمنين في طرفين متعاكسين...

فهل يجوز الشيخ الالباني للمسلمين أن يرجعوا الى ايهما يشاء المرء؟...

وهل يجوز أن يرجح رسول الله صلى الله عليه وآله أمته من بعده أن يعودوا الى أهل بيته (في هذه الدائرة الواسعة التي يذكرها الشيخ الالباني... وهو يعلم بهذه المعركة التي تحصل بين أمير المؤمنين عليه السلام وعائشة من بعده ويحذرها من بعده في حديث «ايكن ينبحها كلاب حوأب»)

أم أن المقصود بأهل البيت النفر الذين حصرهم وشخصهم رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الكساء، وقال: «اللهم هؤلاء

بيتي» في الروايات الصحيحة التي يصححها الالباني نفسه.

ثم ماذا يقول الشيخ الالباني عن المرجع الذي يرجع اليه الناس بعد وفاة أمهات المؤمنين في مضلات الفتن التي عصفت بالمسلمين... وقد ذهب المسلمون يميناً ويساراً وذهبوا كل مذهب، ولم يرجعوا الى أهل البيت عليهم السلام غير فئة قليلة رجعوا الى أهل البيت عليهم السلام وعرفوا بشيعة أهل البيت عليهم السلام.

وحديث الثقلين لا يخص عصر أمهات المؤمنين، بل يشمل عصور التاريخ الاسلامي كله حتى قيام الساعة.

فهل يوافق الشيخ الالباني هذه الفئة القليلة التي رجعت الى أهل البيت عليهم السلام واختصت بهم وعرفت بهم، دون سائر المذاهب؟

وفي حديث الثقلين تصريح بأن الرجوع الى أهل البيت عليهم السلام عاصم من الضلال والفتن.

الملحق رقم (٣)

سند حديث السفينة :

رواه الحاكم في المستدركْ وصححه على شرط مسلم[١] ،والحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني في المطالب العالية[٢] ،والفاكهي في اخبار مكة [٣] ،واحمد بن ابي بكر البوصيري في إتحاف الخيرة المهره بزوائد المسانيد العشرة[٤] ،والطبراني في المعجم الكبير[٥] ،والمعجم الاوسط[٦] ،والمعجم الصغير[٧] ،وابو نعيم في

---

(١) المستدرك للحاكم: ١٦٣/٣ رقم ٤٧٢٠.
(٢) المطالب العالية: ح٣٩٧٣.
(٣) أخبار مكة: ح١٨٣٧ و١٩٠٤.
(٤) اتحاف الخيرة المهره: ح٦٧٢٩.
(٥) ألمعجم الكبير لطبراني: ٤٥/٣ رقم ٢٦٣٧.
(٦) المعجم الأوسط للطبراني: ٩/٤ ح٣٤٧٨.
(٧) المعجم الصغير للطبراني: ٢٤٠/١ ح٣٩١.

الحلية[١] ،والهيثمي في مجمع الزوائد[٢] ،والمتقي في الكنز[٣] ،والبزار في المسند[٤] محمد بن سلامة القضاعي في المسند[٥] ،والآجرى في الشريعة[٦] والتسير بشرح الجامع الصغير للمناوي[٧] والملا علي القاري في مرقاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح والخطيب البغدادي في تاريخه[٨] ومصادر وطرق أخرى لا يسعنا الآن ذكرها جميعاً وقد روى الحديث بطرق عديدة يقوى بعضها بعضاً.

يقول الحافظ السخاوي في هذا الحديث: «وبعض هذه الطرق يقوي بعضا»[٩].

---

(١) حلية الاولياء لابي نعيم الاصبهاني: ٣٠٦/٤.
(٢) مجمع الزوائد: ١٦٨/٩.
(٣) الكنز: ح٣٤١٤٤.
(٤) مسند البزار: ح٣٩٠٠ و٥١٤٣.
(٥) مسند شهاب: ٢٧٣/٢ و٢٧/٥.
(٦) الشريعة للاجري: ٢٢١٤/٥ و٢٢١٥ و٢٢٢٢.
(٧) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي: ٦٩٦/١ و٧٢٤/٢.
(٨) تاريخ بغداد: ٩١/١٢.
(٩) استجلاب ارتقاء الغرف: ٤٨٤/٢.

وقال ابن حجر الهيثمي في الصواعق وجاء من طرق كثيرة يقوي بعضها بعضا: (مثل أهل بيتي) وفي رواية (إنما مثل أهل بيتي) وفي رواية اخرى (إنَّ مثل أهل بيتي) وفي رواية (الا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)(١).

وذكر السمهودي في جواهر العقدين طرقاً عديدة للحديث، ثم قال: (وهذه الطرق بعضاً يقوي بعضاً)(٢).

---

(١) الصواعق المحرقة: ٣٥٢.

(٢) جواهر العقدين: ٢٦١.

الفهرس

التحصينات الحضارية والثقافية:..... ٥
عوامل التحصين: ٨
بيت التوحيد والولاء: ١١
تكامل بيت التوحيد وبيت الولاء: ١٢
التوحيد وعناصر التوحيد: ١٣
الولاية: ١٥
عناصر الولاء: ١٨
قيمة الولاء: ١٩
علاقة الولاء بالتوحيد ٢٠
١- دور الولاية في بسط سلطان التوحيد على وجه الارض: ٢١
علاقة الولاية بالتوحيد..... ٢١
٢- دور الولاية في صيانة التوحيد وتحصينه من المسارات المنحرفة:..... ٢٦
بيت التوحيد وبيت الولاء:..... ٣٠
التحديات التي تواجه التوحيد والولاء:..... ٣١
بيت التوحيد:..... ٣٣
بيت الولاء:..... ٣٦

الحائر الحسيني بيت الولاء:..... ٣٨
كيف تحصن بيوت الولاء أهلها:..... ٤١
الجماعة الراشدة وجماعة الغوغاء:..... ٤٢
مجموعة التوحيد والولاء..... ٤٧
مجموعة الولاء..... ٤٨
قانون التعارف في القرآن:..... ٤٨
التعارف والتعاطي في مساحة التوحيد:..... ٥٠
التعاطي والتعارف في مساحة الولاء:..... ٥١
وقفة مسؤولية:..... ٥٥
مجموعات النتن والجيف:..... ٥٦
الملاحق..... ٥٩
الملحق رقم (١) ٦٠
سند حديث الفرقة الناجية: ٦٠
الملحق رقم (٢) ٦١
تصحيح الشيخ الالباني لحديث الثقلين: ٦١
من هم أهل البيت؟..... ٦٦
مناقشة رأي الشيخ الالباني في (أهل البيت):..... ٦٨
الملحق رقم (٣) ٧٦
سند حديث السفينة:..... ٧٦